يبابٌ

لسرحان أربعة أولادٍ وبنتٍ واحدة، تقطن العائلة في إحدى القرى في منطقة البعاج في الموصل، تعليمه متوسط ولكنه يتاجر في المواشي، ميسور الحال، لا يكترث لملابس أولاده أو تعليمهم، يهتم بغذائهم أكثر من أي شيء، بنى داراً من ثلاثة غرفٍ، وساحةٍ كبيرةٍ لبهائمه، طوال الليل يطل عليهم، يلقحهم بنفسه، فهو لا يثق بالطبيب البيطري للقرية؟ كان يسخر من الجميع ويراهم سُراقاً، بل يؤكد على ذلك وهو يروي القصص حول مختار القرية، مدير المدرسة ومعاونه الطبيب البيطري، وهو يستنشق السيجارة واحدة تلو الأخرى، يراقبه ابنه الكبير محمد الجالس بقرب أبيه، كونه الأكبر، أما الباقون فهم على بعد مترين أو أكثر، أما نهلة تجلس القرفصاء بجانب أمها، التي حذرتها من خوض أي حديث مع أبيها وإخوتها. سأل محمد أباه وهو يحرك شفتيه متمنياً، أن يحن والده

عليه بسيجارة، مدير المدرسة والأستاذ هادي ماذا يسرقون، المدرسة مقتلعة الأبواب والشبابيك، قهقه سرحان قائلاً: المقاول الذي تعهد ببناء المدرسة وترميمها، تنصل عن إتمام المشروع لقاء مبلغ من المال، أتم المدير بناء بيته أما المعاون هادي فقد تزوج أخت المدير، ضحك الأولاد. وعد سرحان ابنه محمد بالتدخين حين يتم الخامسة عشر من عمره كي يتحمل دخان الحرب، مر الشتاء سريعاً وأزهرت الأرض، ثم ما لبثتْ أن اصفرتْ بعد أن هبت رياح حزيران، اجتاح مقاتلو تنظيم داعش القرى والمدن، جردوا الناس من ممتلكاتهم، بعضهم تبرّع ببعض ما يملك لقاء الاحتفاظ بباقي ممتلكاته، التحق محمد بمعسكرات التدريب، التحى الأستاذ هادي، فتح حلقةً لدرس القرآن الكريم. طلب يد نهلة من سرحان الذي سرعان ما وافق، لم تكن الأم راضية لكن الأب أراد أن يحتفظ بثروته. جهزت ابنتها ليوم عرسها، انهمرت الدموع من عينيها وضمت رأسها إلى

صدر أمها، تتوسل إليها ألّا تزوجها، أمي الأستاذ هادي قاسي كان يضربنا بعود شجرة الرمان، أتوسل اليكِ يا أمي ألم يقل أبي أنّه سارق ولص. لم تنفع تلك التوسلات والدموع المنهمرة من عيني الأم وابنتها، لم يتراجع الأب عن قراره وساق ابنته إلى مصيرها المؤلم، أطبق هادي باب الغرفة على زوجته ذات الإحدى عشر ربيعاً، مبتسماً وحامداً ربه وكأنه ظفر بعدو دينه، كانت نهله ترتعش، ظنت أنّ باستطاعتها الخلاص منه، ماذا لو عرف ما يقوله والدها بحقه، ربما يغضب ويردها إلى بيته. وقفت مرتعشةً تحاول أن تجمع بعض الكلمات التي تدور برأسها، أبي يقول أنّك سارق، أبي لا يحبك، أمي كذلك بين سياط الجلاد ومخالب الذئب قضتْ نهلة ليلتها، ثم اقتادها لسوق النخاسة، لتواجه مصيرها المجهول. فقد سرحان حياته دفاعاً عن حلالهِ. أما الأم فلم يسمع أحد في هذا الكون الواسع أنينها وهي تقبع تحت خيمةٍ في وطنٍ ممزق.